قصة قصيرة

# اللبلاب

د. خليل فاضل

(١)

رأى السيد الكبير فيما رأى في منامه، رؤيا أقضّت مضجعه، فشرد واهتم، توتّر وصرخ.. زعق قائلاً: ائتوني بكبير العرّافين!

حضر إليه كبير العرّافين، ناقش السيد الكبير في كل صورة وكل مشهد حوته الرؤيا، تصبّب السيد الكبير عرقاً.. تنحنح.. اهتز كل جسده.. تململ، وصار يسأل بعصبية أسئلة شتى، يحني رأسه موافقة، ويهزه اعتراضاً... دامت المناقشة عدة ساعات، حان موعد الطعام،.. لم يأكل السيد الكبير.. مُنعَ كبير العرافين من تناول الطعام، طالت الجلسة وامتدّت، بدا السيد الكبير مرهقاً، ضاقت عيناه الضيّقتان أصلاً، صارتا أقرب إلى عيني ثعبان ماكر.. تورم جفناها، نحل حاجباه، سقط بعض من شعر رأسه، ضاق قفصه الصدري، ضاق تنفسه، اهتزت أطرافه، بلع ريقه بصعوبة بالغة.. نادى على السيدة الكبرى، ناقشها في الأمر وتبادل معها الرأي.. أخلى سبيل كبير العرّافين.

(٢)

شهدت ساحة القصر أعنف ما شهدت من مباحثات واجتماعات موسعة، استدعي إليها كبار رجال الحرس الخاص، والأمن الخاص، قادة الجيش، المدرعات، الطيران، المستشارون الأجانب، وحدات التجسس الشعبي المتقدمة والمطوّرة تكنولوجيا،... عقدت مع الجميع مواثيق وعهود، أبرمت اتفاقات علنية وسرّية، تضمنت بنود محاضر الجلسات نقاطاً أمنية لم تكن تخطر على البال.. خرج القادة والمستشارون مطمئنين فرحين... استدعي رجال القلم، نبّهوا مما نبهوا إلى ضرورة الحرص واليقظة، أعلموا مما أعلموا به بأهمية التوعية واستخدام كل الوسائل المتاحة لهم للوصول إلى قلب الناس وعقلهم... بما في ذلك الاتصال الشخصي... أرسل مخبرو السيد الكبير إلى كل كفر ونجع وقرية، إلى كل حيّ وكل شارع بكل مدينة، يتبصصون ويترصدون ويحتاطون ويبلغون أولاً بأول... ينتزعون كل الأسلحة الحادة وغير الحادة من جميع الأمكنة، يقبضون بسرعة على رقاب كل المشكوك فيهم، حتى دانت لهم الأرض أو كادت بطول الوادي وبعرضه.... هزّت نسمة حيرى صفحة النيل عند القاهرة في حزن، غمزت السيدة الكبرى للسيد الكبير بطرف عينها... وباتا في سبات عميق.

(٣)

الزنازين تعج بالرجال والنساء، الأيدي ترسف في القيود، صوت احتكاك الرسغ بالقيد يحدث إيقاعاً عذباً يمتزج مع صوت ارتطام الرأس بالقبضان، يكونان رهبة «هادرة» مع صوت دبدبة الأقدام الحافية فوق الاسفلت الصلد بآلاف آلاف الزنازين المنتشرة بطول وعرض البلاد... كان الغناء الفقير يهيج العنابر المظلمة ويضيئها، راساً لوحة لم تكتمل... كان الحرس بالزي الكاكي والأسود والأبيض يتمشى بالليل يكتم أنفاس الناس، يأكل طعامهم، يلكزهم بكعوب البنادق الأوتوماتيكية، يحشرهم بالعشرات من سراديب مظلمة..

غير أن الديك ظلّ يصيح
وعاشت الوردة متفتحة.

(٤)

سرت همهمة غضب بطول الوادي، زحف الأولاد بالليل، جمعوا من حجورهم الحجارة، هاجموا قصر السيد الكبير في محاولة يائسة تصدّت لهم الطائرات الرادارية، داهمتهم فرق الأمن الخاص، أصابت بعض حجارتهم نوافذ القصر، غير أنها لم تكسرها... بات الأولاد مع ذويهم من السراديب المظلمة وغنوا جميعهم نشيداً واحداً

ذبح الجند الديك وتركوا الدجاج ليبيض لهم.
قطفوا الوردة، وسرقوا عطرها.

(٥)

فرقٌ من الجند تحركت بأسلحتها الخفيفة، انضمت إلى جموع الفلاحين المسلحة بالفئوس والعصيّ، اتحدت معهم جماهير الطلاب الغاضبة، قصفوا قصر السيد الكبير بكل ما لديهم... فحّ السيد الكبير، فحت السيدة الكبرى، كشرت عن انيابها، قالت بصوت خبيث مبحوح: هراء هراء، لقد عقدنا معاهدة مع الجميع، وحصّنا قصرنا ضد الكل، هيهات أن يحدث شيء.

(٦)

انكبّ الفلاحون يزرعون ليل نهار، تركوا قمحهم وقطنهم ليزرعوا نباتهم الجديد، سهروا عليه الليل، حرسوه بالنهار... تعجب المخبرون لحالهم، ضحك السيد الكبير ولم يهتم، قال:
خيرٌ لهم أن ينشغلوا بشيء!

(٧)

انهمك النجارون في صنع أعمدة الخشب ليتسلق عليها النبات لينمو ويترعرع، تغزلوا فيما يصنعونه، زخرفوه ولوّنوه، كتبوا عليه شعارات كثيرة عن الوطن والحرية، عن الدم والإرادة عن الشعب والنصر... نقوها وحفروها بخط صغير لم يقرأه المخبرون، غير أنهم كتبوا في تقاريرهم أن انتاج الأثاث قد هبط بشدة، وأن ثمة أشكالاً معقدة قد صنعها النجارون وزخرفها العمال المهرة...
قهقهت السيدة الكبرى وقالت: فنٌ شعبي!!

(٨)

ترك الطلاب دروسهم ومعاملهم، انهمكوا في دراسة كل سبل رعاية هذا النبات الفذ، استحضروا واستنبطوا أسمدة جديدة، قلبوا كافة المراجع العلمية بكل اللغات، تعمقوا في علوم الزراعة والكيمياء، بحثوا هنا وهناك، نقلوا خلاصة علمهم إلى الفلاحين، أضافوا ابتكارات تجعل النبات قوياً وصلباً، عنيفاً وجباراً... تجسس المخبرون، قال كبير العرافين: أخشى أن تكون محض حذلقة!

(٩)

فقس البيض أفراخاً جديدة شبت وصارت ديوكاً كثيرة تزعق وتصيح... تفتحت مئة وردة جديدة، تضوعت بعطرها البيوت، غنت البنات وزغردت مطلّات برؤوسهن من المشربيات، يسقين الرجال لدى مرورهم بماء الورد البارد، انضموا إليهم.. احتشدت جموع الفلاحين الهائلة حاملة بين أيديها النبات الجديد، تراص النجارون والعمال المهرة رافعين النبات لأعلى على أطرهم وأعمدتهم الخشبية صائحين بما كتب عليها من شعارات، هدر الطلاب بصوت قوي، ملوحين بالنبات بيد، وبالكتاب باليد الأخرى..

كانوا كثيرين جداً ومتراصين تماماً.. متلاحمين ومتحدين، سدّوا عين الشمس، وبدا المشهد كيوم الحشر، ولعلّه كان... هاجموا السجون، هدّدوها، أخذوا رجالهم ونساءهم وأولادهم سلحوهم بالنبات.. كثر عددهم جدا.. اندفعوا ككتلة واحدة متراصة، عبر الأزقة والحواري والشوارع يغنون بصوت عميق أصيل رنان.. حتى وصلوا إلى باحة القصر الكبير.. خرجت السيدة الكبرى مزدانة بأجمل الحليّ، متعطرة بأروع الروائح، شعرها مصفف على أحدث هيئة، ووجهها مغطى بالمساحيق، تخفي عينيها المرسومتين بالقلم تحت نظارة سوداء أنيقة، شفتاها تضجان بالدم والطلاء، اكفهر وجهها واتقدت عيناها بالشر وسألت كبير الحرس الخاص وهي تطل من شرفتها:

- لماذا هم متجمهرون كذلك؟
- جوعى يا سيدتي...
- وما هذا النبات الذي يحمله كلٌ منهم؟
- إنه اللبلاب يا سيدتي..
- ولماذا يهتفون هكذا؟
- قلت إنهم جوعى يا سيدتي..

هزّت رأسها بعصبيّة بالغة وقالت:

- ولماذا لا يأكلون اللبلاب؟!
- إنه مرٌ كالصبر يا سيدتي!

تأففت وقالت.

- إذن لماذا يحملونه؟
- لا أعرف. لا أعرف يا سيدتي!!

تذكرت حلم السيد الكبير المفزع، تذكرت هجوم الحجارة، وهجوم البنادق.. تذكرت معاهدتها مع الجميع ضد الكل، تأملت كل ما تكفله لها الحماية الحديثه، هدأت قليلاً عند سماع أزيز الطائرات الردارية، غير أن شيئاً من تقارير المخبرين لم يمهلها.. حاولت أن تبلع ريقها المرّ، حاولت أن تتذكر أجساد الفلاحين المنهوكة بالسل والبلهارسيا، حاولت أن تلوي عنق مشهد دماء أبطال الحرب الذي باعته بخساً... لم تسعفها الذاكرة، جف حلقها، اغمضت عينيها، فتحتها.. تأملت عيني السيد الكبير الضيقتين وقد برزتا من محجريها بعد أن خنقته خيوط اللبلاب، التفتت لأعلى، تحسست رقبتها، غير أن سيفاً هائلاً من اللبلاب، لم يمهلها، فسقط رأسها في سلة المهملات.

ترك الديك الدجاج ينقر عينيها في هدوء كبير ونبتت مئة وردة من أجساد الشهداء.

---

ق ١٩ ح ١٢/١٢ حواشي الآداب هدى (١)

(*) تحكي أسطورة اسكندنافية أن الإله « بالدر » رأى أحلاماً مرعبه تنذره بالموت. وقررت أمه إبقاده من الموت فأخذت عهداً على جميع الأسماء الحيه وغير الحيه ألاّ تصيب إبنها بضرر. ولكنها نسيت أن تأخذ العهد على اللبلاب أو ربما تجاهلته لما بدا لها من قلة خطره. وحاولت الآلهة بعد ذلك قتل « بالدر » فرمته بمختلف الأسلحة ولكن عبثاً. فما كان من إله الشرّ « لوكي » إلا أن صنع حربه من اللبلاب وأعطاها للإله الأعمى « حودر » ووجّه يده بها إلى صدر الإله « بالدر » فقتله.